



التربية الفكرية في المدارس الماليزية

شذرات حضارية

Intellectual Education in Malaysian Schools

د. ناصر يوسف

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

youcef.nasser@gmail.com

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الارسال: 29 اوت 2021 تاريخ القبول: 18 ديسمبر 2021	يستعرض هذا البحث شذرات حضارية من التربية الفكرية في المدارس الماليزية، نظراً إلى أن برامج التربية الفكرية باتت أكثر من ضرورية للأفراد والمجتمع، علاوة على أنها تحفز المتعلم إلى تنظيم حياته العلمية والعملية عسى أن ترتقي به إلى مصاف العالمية كما هو حاصل مع الإنسان الماليزي.
الكلمات المفتاحية: ✓ التربية الفكرية ✓ فلسفة التربية ✓ الوطنية	Abstract : <i>This study attempts to give remedy on the reality of intellectual education in Malaysian Schools. This mainly based on the fact that Intellectual Education becomes the necessity for individual and the society that elevates the position of person to promote scientific and practical life</i>
Article info Received 29 August 2021 Accepted 18 December 2021	
Keywords: ✓ Intellectual ✓ Education; National ✓ Education Philosophy	

مثل الحضارة الملايوية والإسلامية والصينية والهندية. وكل أولئك يجعل من التربية الفكرية وسيلة نبيلة للإصلاح التربوي والتجديد فيه، ومن ثم مشاركة جميع الأعراق قبي إغناؤه وإثرائه. هؤلاء استنعموا بالتنمية واستمتعوا؛ حيث تعد ماليزيا البلد الوحيد في الشرق الإسلامي الذي فطن مبكراً لأهمية التربية والتعليم في نهضة الأمم؛ فحققت تنمية سريعة لم تكن يوماً ضريعة بل كانت دوماً جامعة ومانعة.

هذا وتقف التربية الفكرية¹ في المدارس الماليزية على تنزيل ما درسه التلاميذ على أرض الواقع؛ لأن التربية الفكرية واقع. هي جملة من الحثيات والتطبيقات والتدريبات والتخمينات لتحقيق المزيد من الدربة والخبرة، وأيضاً لتحقيق الشمولية الفكرية التربوية بما يتناسب مع طبيعة المجتمع الملايوي المركب دينياً وثقافياً. وهنا نلفي المسؤولين التربويين يتعاملون مع التربية الفكرية بوصفها قيمة أساسية في فلسفة التربية الوطنية، بإمكانها أن تعزز من التربية التكاملية، وأن تساعد على إغناء حقل العلوم الدينية بالاجتهاد، وأن توسع من دائرة الابتكار في علوم أخرى تقنية.

كما يحرص المجتمع الملايوي المسلم كل الحرص على ربط التربية الفكرية بالإسلام والإيمان والعقيدة؛ وتلك هي التربية الإيمانية، كحصن حصين لهويته، وللحفاظ على تراثه نقياً تقيماً. فكل الأعراق تحرص على ربط التربية بإيمانها وعقيدتها؛ وذلك هو التدافع الديني؛ وهو ما يجعل المجتمع الملايوي المسلم يتوجس خيفة من الدخيل الإيديولوجي على برامج التربية الفكرية في شكل عقلانية مادية متطرفة قد تنسف الحريات والهويات في مجتمع متعدد الحريات والهويات هو الآخر.

ولكن ما تصبو إليه القيادة التربوية هو تكوين شخصية ملايوية مسلمة متعلمة ومتحضرة، تحسد روح الاستخلاف والائتلاف الحر والمسؤول؛ بحيث لا تعوق الأعراق الأخرى على ممارسة حرياتهم وهويتهم التي كفلتها فلسفة التربية الوطنية، وقطع في أمرها الدستور الماليزي.

ولا نرى ذلك يتحقق إلا بفعل التعلم الذاتي أو التعليم مدى الحياة الذي يجعل التواصل قائماً مدى الحياة، يتجاوز العوائق والمعوقات، ويبقي على التنمية المادية والبشرية قائمة بأجبالها

تنشد التربية الفكرية في ماليزيا بناء المهارات العالية لدى التلاميذ، وذلك بأساليب التفكير النقدي والتفكير الإبداعي وإعمال العقل والاستبصار في فهم المادة الدراسية والارتقاء إلى مستواها؛ حيث الوعي التربوي الفكري هو رؤية الأشياء على حقيقتها، وهو أن ننزل الأشياء من عليائها ونضعها في منزلتها ونسميها بمسمياتها. ومن هنا يُشترط أن ترتبط التربية الفكرية بثقافة الأمة وقيمتها وحاجاتها وضرورتها وكلياتها وتراثها. وهي بذلك تتوخى تنشئة الأفراد والجماعات على الوقوف على الأفكار والمعارف الصحيحة المتناغمة مع السلوكيات الحسنة والإيجابية، لا سيما في مجتمع متعدد التوجهات والمرجعيات، قد تفرقه الأفكار المتباينة؛ ولكن تجمعها السلوكيات والتصرفات الإنسانية الخلوقة التي لا خلاف حولها.

أولاً: مسالك التربية الفكرية الماليزية

تعلم التربية الفكرية في ماليزيا التلميذ كيف يكون مختلفاً في الفكر غير المؤتلف، وفي الوقت نفسه يكون مؤتلفاً إنسانياً مع الآخر المختلف.

وهذا يعني أن التربية الفكرية في ماليزيا تعلم كيفية تقبل الآخرين. فالتربية التقليدية تختلف عن التربية الفكرية. في التربية التقليدية يتقبل التلميذ المادة الدراسية بوصفها محوراً للعملية التعليمية؛ أي أن يتقبل التلميذ المادة الدراسية كبضاعة ردت إلينا؛ كي يستريح المعلم وينجح التلميذ. بخلاف التربية الفكرية حيث يفترض أن يتقبل التلميذ الإنسان الآخر بوصفه محوراً للعملية التعليمية؛ فعلى التلميذ أن يتقبل التلميذ الآخر، وأن يتقبل المعلم، وعلى المعلم، أيضاً، أن يتقبل التلميذ في تساؤلاته وتفلسفه وتفكيره وسلوكياته وتصرفاته ورؤيته للعالم. وإذا حاد عن الصواب أو اشتط يتدخل الاشتباك النقدي الرحيم؛ فالتراحم النقدي هو جوهر التربية الفكرية.

ويزداد الأمر تعقيداً في مجتمع متعدد الناسوت ليس من السهولة أن يتقبل الآخر الآخر؛ حيث تحفز هذه القابلية للآخر إلى استكشاف القدرات الدفينة وإطلاق الطاقات المعطلة في مجتمع ثري في لغته وحضارته وتاريخه، وتتجاوزه حضارات عالمية

مدى الحياة، إلى أن يشاء الله.

ثانياً: التربية الفكرية في سياق فلسفة التربية الوطنية

طبعاً، لا يمكن أن نفهم التربية الفكرية في الخبرة التربوية الماليزية كجزئية إلا في سياق فلسفة التربية الوطنية² بوصفها نسفاً كلياً؛ حيث جاءت فلسفة التربية الوطنية من أقصى الاستقلال تسعى للمحافظة على القيم التاريخية والحضارية لأبناء الأرض الحقيقيين، وتكوين شخصية ناضجة تقود الأعراف الأخرى.

وقد قامت فلسفة التربية الوطنية على الآتي:

- إغناء المنظومة التربوية بالقيم والمثل العليا.

- تنمية المجتمع عبر التعليم النوعي.

- تحقيق مستقبل علمي ومعرفي أفضل لكل الأعراف.

- نشر الرسالة الحضارية لأصحاب الأرض الحقيقيين في أوساط الأعراف الدخيلة لتحقيق المزيد من التفاهم والوحدة بين الأعراف؛ وتلك هي غاية الغايات لدى السياسيين الماليزيين.

إذاً، التربية الفكرية جاءت في سياق فلسفة التربية الوطنية كنسق كلي. هذه الفلسفة تتخذ من التربية التكاملية بنيتها الأساسية، وكل ما يليها من تربيّات أخراة هو متمم لها، لا يخرج عن مناهجها وأطرها. ومن هنا نلغي التربية الفكرية في المدارس الماليزية ليست برامج تُدرّس، وإنما هي من قبيل العصف الذهني للتعامل مع مسائل عقلانية وذكية ومهاراتية، أو تمارس في النشاطات الصفية المفتوحة في الزمان والمكان التي تستدعي البصر والبصيرة والاستبصار والتبصر؛ أو حتى في مادة مقرّرة في الجامعات، وليس في المدارس، تحت عنوان التفكير النقدي لتغيير الذهنيات بالضرورة.

أفينا شذرات من التربية الفكرية تدرّس في المدارس الذكية³ (Smart Schools) التي تتخذ التكنولوجيا محوراً لها..

أو في مدارس النخبة الثانوية والداخلية والمجانبة (MARA Junior Science College- MRSM)⁴

وهي أقل من مائة مدرسة موزّعة على ولايات ماليزيا، وهي أيضاً، مدرّسات تستقطب الناشئة ممن نجحوا بامتياز في الشهادة الابتدائية، تقوم بتهيئتهم للتعامل مع المهارات العالية. ولهذا نلغي هؤلاء التلاميذ ينجحون في امتحانات الثانوية العامة

بتقدير عالٍ وبنسبة كبرى بخلاف غيرهم من تلاميذ المدارس الوطنية الأخرى.. لأنهم تدرّبوا على التعاطي مع أسئلة الامتحانات الثانوية العقلانية والذكية والمهاراتية.

هناك مدرستان في ماليزيا؛ المدرسة الوطنية يلتحق بها العرق المسلم وتدرّس باللغة الملايوية الوطنية، والمدارس الأهلية للعرق الصيني والهندي وتدرّس بلغتها القومية. ما يجمع بين المدرستين أن اللغة الماليزية هي لغة إجبارية كمادة -وليس كلغة تدرّس- في المدارس الأهلية، بينما اللغة الماندرينية والتاميلية لا تدرّس أصلاً في المدرسة الوطنية؛ وهو ما يجعل اللغة الملايوية الوطنية مهيمنة تربوياً، وما يفرّق بين المدرستين هي المواد الدينية والحضارية. وكلتا المدرستين تتبع وزارة التربية إدارياً ومالياً. وللصينيين والهنود طريقتهم أيضاً في تدريس التفكير النقدي وممارسته في الصفوف الدراسية، وبلغتهم طبعاً وعقائدهم.

وبحكم تفوق العرق الصيني ألياً وعقلياً، فلا شك في أن التفكير النقدي قد بلغ مبلغاً عظيماً في مدارسهم وفضائهم العام؛ حيث وقفوا على تحديد المشكلة، وإصدار الأحكام الصحيحة، والتصرف المصحوب بالحس الجماعي المتمثل: في ضبط النفس، والتعاون، والروح العامرة بالعاطفة، والصحة البدنية العالية. فالعرق الصيني الذي تخرّج في الجامعات والثانويات والمدارس يسيطر على الوظائف الكبرى في المجتمع، والقطاعات الحيوية في الدولة، ويتحكّم في السوق الماليزية.

طبعاً العرق الملايوي المسلم فطن إلى أهمية لغته مبكراً للحفاظ على وحدته وتراثه، وأيضاً لاستقطاب الأعراف الأخرى إلى دائرته ونظامه اللغوي؛ ولكن لم يفتن إلى أهمية المهارات الفكرية إلا بشكل متأخر نظراً إلى انشغاله بالتعليم التقليدي أو التعليم المزدوج الذي ورثه من الاستعمار؛ فهناك سجال بين الملايويين أنفسهم في كيفية تدريس المواد الأكاديمية باللغة الإنجليزية التي يرون أنها تحمل بذرة التفكّر والتفكير، وبمحنة استقطاب الأعراف الأخرى للدراسة في المدارس الوطنية؛ ولكن أولياء العرق يرفضون أن يدرس أولادهم باللغة الملايوية؛ إذ يعتقدون أن اللغة الملايوية الوطنية متخلّفة فكرياً.. وهذا حدود رؤيتهم.

تشكّل اللغة الملايوية البنية الأساسية للمدارس الوطنية، ومن

ابن خلدون: "الحضارة هي سر الله في حصول العلم والصنائع"⁵، ويترجم مالك بن نبي قوله بقوله: "ليس العلم سوى بعض نتائج الحضارة"⁶. وذلك من منطلق أن العلم يخلق علاقة بيننا وبين الأشياء، والثقافة التي جوهر التربية الفكرية سوى تعلم الحضارة. ما نفهمه من ذلك هو أن المشاكل المادية والمعنوية التي تواجه الإنسان هي أشياء آيلة للزوال، والذي يزيلها هي الحلول التي تأتي من روح العلم والأفكار والمعرفة. فالشخصية المتحضرة والمتحلقة والمتعلمة، بإمكانها، وبأفكارها، أن تحلّ أية معادلة أو مشكلة شبيهة معقدة في حياتها الخاصة والعامة.

ولا شك في أن ما وصلت إليه ماليزيا من تعليم نوعي قد شكّل الدافع الأكبر للتنمية المادية السريعة في ماليزيا التي أغنت التنمية البشرية وعززتها في مسائل التعليم والتدريب والبيئة؛ فهناك توافق بين التلميذين. فكل الأمم التي بلغت شأواً حضارياً إلا وكان التعليم سبباً رئيساً في ما وصلت إليه. كل شيء يبدأ بتربية الإنسان في أخلاقه ودينه وأفكاره وآرائه وحلوله، لا سيما إذا كان هذا الإنسان الملايوي المسلم يحسن كيف يعيش في جماعة؛ جماعته كانت أم جماعة الأعراق الأخرى، وذلك بأداء من غير إيذاء، يقول بن نبي: "الحضارة أن تعيش في جماعة"⁷، علاوة على الشخصية الملايوية المسلمة شخصية هادئة ومستبشرة في التعايش مع الأعراق التي جلبها الاستعمار البريطاني، كما استطاعت ماليزيا في الأزمة المالية الآسيوية سنة 1997 أن تخرج ناجية من ورطتها بفعل إصدار الأحكام الصحيحة والعاقلة والحكيمة من نخبها الإدارية، يقول بن نبي: "إن أول الأبواب إلى الحضارة أن نواجه المشكلات مستبشرين لا متشائمين"⁸.

إذاً الشخصية الملايوية المسلمة شخصية فردية وجماعية؛ فردانية بما تمتلكه من معارف وعلوم ولغات وثقافات وحضارات وريادة وقيادة، وشخصية جماعية قادت الآخرين إلى برّ الأمان، وغيّرت ما بنفسها من خمول وكسل؛ فتعلّمت من حضارات الأعراق الأخرى وثقافتها، ومن تجاربهم في إطلاق الطاقات العاطلة واستثمارها في مكانها المناسب. وبفضل التعليم النوعي الذي محوره الفكر والتفكير

الطبيعي أن تكون المواد الإسلامية جزءاً من هذه البنية وتابعة لها. ومن ثم هناك هواجس لدى التربويين الملايويين للحاق بالمدارس الأهلية؛ حيث قُدمت أقسامٌ للنخبة من داخل المدرسة الوطنية وجُعِلت لتدريس المهارات العالية في المواد الأكاديمية والمواد الدينية على سواء. وبالفعل حقّقوا نجاحات معتبرة ومتواضعة؛ حيث خرجوا من انطوائهم وانزوائهم وكسلهم وخمولهم، ودخلوا في المبادرة والمبادرة والشجاعة والثقة بالنفس وطرح الأسئلة. وهذا لا يمنع من وجود سلبيات ما زالت تثقل من طريقة المتعلم الملايوي المسلم وتؤخّره فكرياً وتربوياً.

وعموماً التربية الفكرية في المدارس الماليزية، تبقى في إطار فلسفة التربية الوطنية مثل التربية البدنية التي تنمي الجسم، والتربية الأخلاقية التي تغذي الروح، وهكذا؛ وهو ما يعني أن التربية الفكرية التي تتعش العقل لا تدرّس إلا لساعة أو ساعتين في الأسبوع مثلها مثل التربية البدنية والأخلاقية؛ فلها بعض الحضور المحتشم في الصفوف الدراسية، أو الحضور غير الرسمي في النشاطات الفكرية التي تدار من حين لآخر.

الماليزيون، بما فيهم العرق المسلم، نجحوا على مدار السنوات في الاختبارات الدولية لتقييم الطلاب في الرياضيات والعلوم والقراءة؛ حيث حصلوا عام 2018 على المرتبة 48 مباشرة بعد الإمارات ولا توجد دولة إسلامية أو عربية قبلهما. ومن المفارقات أن العرق الهندي المتواجد في المدارس الماليزية والجالية الهندية في الإمارات قد أسهموا فيما وصلت إليه الإمارات وماليزيا من نتائج تربوية متقدمة.

ومع ذلك، يبقى العرق المسلم يكافح من أجل الوصول إلى مراتب عليا في المهارات الذكية؛ ولكن باتت تُفرض عليه اللغة الإنجليزية كلغة تدريس للمواد الأكاديمية؛ إلا إن الخطة فشلت.. وربما لأسباب سياسية.

ثالثاً: شذرات تربوية حضارية

ألفينا فلسفة التربية الوطنية قد نصّت على الحفاظ على القيم الحضارية لأصحاب الأرض الحقيقيين، واختصت بتكوين شخصية متعلّمة تملك معايير أخلاقية عالية ومعارف عالمية، وتتطلع إلى امتلاك أدوات الحضارة لامتلاك المعرفة النافعة. يقول

إدًا، التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري المنشود هي من تمتحن قيمة الأفكار في المدارس، وتختبر فعاليتها في البناء والنهضة؛ وإلا فهي أفكار عبثية بالمجتمع وقيمه ودينه وأصالته. ومن هنا اقتضى المنظور التربوي الحضاري الماليزي استعادة العلاقة بين الأفكار والأشياء، بين الأكاديمي والميداني لمزيد من المهارات والمواهب والحكمة، ثم القضاء تدريجيًا على الفصل بين الديني والدنيوي، ويكون ذلك بالعودة إلى الماضي الأصيل بطريق الأمام الفعّيل؛ أي العودة إلى الأصل بطريق الأمام وبدء الجديد وإعادة صوغ القاعدة الثقافية التي تتكيف مع العصر والخبرات البشرية، ثم التجاوز والتعالي. وفي هذا الصدد حقق العرق المسلم نجاحات متواضعة في النهوض الحضاري أمام اليقظة المعاصرة الصينية والهندية، سواء كأعراق تتعايش معه أو كدول محيطة بماليزيا.

نعتقد أن التربية الماليزية في أبعادها الفكرية والتقنية تشكل لبننة من لبنات النهوض الحضاري المنشود؛ حيث عيّنت التنمية المادية والبشرية، إلى جانب النهضة الفكرية والثقافية للملايين، الطريق إلى العود الحضاري؛ وهنا وجب الاستفادة منها وليس الإعادة. وهو أن نقف على بدايتها ونعرف السبب الذي رفع من رايته؛ أي أن لا نقف عند نافذتها للاستماع، بل واجب الدخول من بابها للانتفاع.. ثم الارتفاع والتعالي والتجاوز. والموفق من وقّعه الله.

خاتمة

تبين لنا أن التربية الفكرية الماليزية وقفت على الآتي:

1. مساعدة التلاميذ على التعاطي مع المسائل التربوية المعقدة التي تستدعي المهارات والتفكير النقدي.
2. ساعدت التربية الفكرية على تنوع المدارس الماليزية من مدارس ذكية إلى مدارس للنخبة.
3. تجرية التربية الفكرية الماليزية جديدة بالإفادة من أبعادها الحضارية.

والتكنولوجيا، نلني محاضير الأب الروحي للنهضة الماليزية يقول انتقلنا من الأفكار إلى الأعمال أو الأفعال؛⁹ أي إننا انتقلنا من الفكرة إلى تحصيل الشيء الذي كان عصبًا على الوجود قبل وجود الأفكار. وهذا في حد ذاته يشكّل منطلقًا حضاريًا كمدخل للتربية والتنمية والنهضة.

ومن هنا نعتقد أن التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري المنشود تسير على خطى: الأشياء هي منهج أفكار. تبدأ في النمو من المدارس، ثم تستحيل من تربية مدارس إلى تنمية مدارس، ثم نهضة مجتمع؛ فالأمة التي لا تفكر هي أمة لا تقدّر الشيء ولا توليه قيمته، ولا تحترم الإنسان ولا تنزله منزلته.. ها الإنسان الذي صنع الأشياء.. هذا الإنسان الذي ترجم الأفكار المفقودة إلى أشياء موجودة.

كما أن هناك فرقًا نوعيًا بين تربية مدارس وتنمية مدارس؛ كحال الذي يكون في المسجد وعندما يخرج منه يكون في حال آخر. كذلك الذي يتعلم الأفكار في المدرسة، لا يستطيع في الخارج أن يصمد أمام الأشياء ومغرياتها. وسبب ذلك أن هذه التربية غير مركّبة مع عناصر التنمية الفاعلة من تربية ذاتية وقلبية وبدنية كبذل الجهد. قد تكون تربية أصيلة ولكنها منفصلة عن العناصر السلوكية الفاعلة؛ فالحضارة سلوك قبل أن تكون أفكارًا وأشياء؛ حيث يرى مالك بن نبي أن الفكرة الصحيحة تحتفظ بأصالتها حتى آخر الزمان؛ لكنها بالمقابل، يمكن أن تفقد فعاليتها وهي في طريقها؛ حتى لو كانت صحيحة.

التربية في المنظور الماليزي هي النماء والزيادة والامتلاء، وإذا لم تكن كذلك فهي ليست تربية؛ لأن التربية ليست أن نتعلم كيف نحترم الإنسان وحسب؛ فهذه تربية مدارس. أما تنمية مدارس فتعلمنا كيف نصنع إنسانًا محترمًا، وهذا ما نفتقده؛ وهي مهمة الطرف الآخر في المجتمع. فعندما نقرن تربية المعارف عبر الإبداع بتنمية المعارف بوساطة الجهد، سوف ننقل التربية من ضيق التقليد والتقليد والاجترار إلى رحابة الأداء والبناء والإفاضة والإضافة. فالإنسان وهو يبذل الجهد، هو أيضًا يسير في طريق الحضارة وينشد تنمية ونهضة.

- 1- Nooraini Othman and Khairul Azmi Mohamad. *Thinking Skill Education and Transformational Progress in Malaysia*, International Education Studies Journal, Canadian Center of Science and Education, Vol.7, No. 4, 2014, p 31.
- 2- See: Dzulkifli Abdul Razak dan Rosnani Hashim (Penyunting). *Pentafsiran Baharu Falsafah Pendidikan Kebangsaan dan Pasca 2020*, Kuala Lumpur: Pelaksanaannya IIUM Press, 1st ed, 2019.
- Gov, *The Smart School* 3- See: Malaysia Roadmap 2005-2020: An Educational Odyssey. S. S. P. Team, Putrajaya, Kuala Lumpur, Government of Malaysia.
- 4- Nurfaradilla Nasri et al. *Effectiveness of School Wide Model (MPSS) in MARA Junior Science College*, Social and Behavioral Sciences Journal, 7 (C), 2010. pp 43-49.
- 5- لمزيد التفصيل انظر: ناصر يوسف، "التربية الفكرية في الخبرة التربوية الماليزية المعاصرة". في: التربية الفكرية في سياق النهوض الحضاري المنشود، تحرير: فتحي حسن ملكاوي. هرندن- فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1442هـ/2021م.
- 6- عبد الرحمن بن خلدون. مقدمة ابن خلدون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1419هـ/1999م، ج 2، ص 545.
- 7- مالك بن نبي. ميلاد مجتمع. ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، ط8، 1431هـ/2010م، ص 96.
- 8- مالك بن نبي. تأملات. ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، ط10، 1433هـ/2012م، ص 30.
- 9- Mahathir Mohamad. *A Doctor in the House: The Memoirs of Tun Dr Mahathir Mohamad*, Selangor-Malaysia: MPH Distributions, 2011, p 336.